

تونس 1985


الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي



الأمة العربية في مواجهة الأحقاد العنصرية الفارسية

بحث في الجذور التاريخية للصراع

لقد كانت الحركات الفارسية السياسية والعسكرية من أشد الحركات وأكثرها خطرا على الامة العربية والدين الاسلامي لانها سلكت اسلوب تشويه تعاليم الاسلام والحط من مكانة الامة العربية وحضارتها ، لقد وجدت الحركات الشعوبية السياسية والعسكرية انها لم تجد نفعاً ، فالتجأت إلى هدم المجتمع العربي الاسلامي بنشر الاراء الغريبة عن التقاليد العربية الاسلامية للعبث بالآداب العالية وتعرض الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية للخطر وقد اطلق على هذه الدعوة بـ(الدعوة الشعوبية) والتي هي حركة سياسية عنصرية ثقافية هدامة ظاهرها المطالبة بنزعة المساواة معتمدة على آيات من القرآن الكريم مثل (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وعلى أحاديث نبوية مثل (ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى) وكان باطن هذه الحركة إزالة السلطان العربي والدين الاسلامي واعادة مجد الامبراطورية الفارسية ودينها المجوسي (١) . واعتقدوا أنهم بهذه الوسيلة يمكنهم الوصول إلى مآربهم دون أن يثيروا حولهم الريبة والشكوك (٢) .

ويمكن وصف الحركة الشعوبية بأنها حركة ثقافية اجتماعية قامت بها العناصر الفارسية المتطرفة وحاولوا نقل التراث الفارسي إلى المجتمع العربي الاسلامي ساعين بذلك إلى طبع المجتمع العربي بطابعهم الحضاري القديم (٣) ، فعملوا على التقليل من شأن العرب والحط من ثقافتهم التي ازدهرت بالاسلام وبالدعوة إلى نبذها ، وقد روج لها بعض الادباء والشعراء والكتاب الفرس(٤).

لقد بدأت الحركة الشعوبية في أواخر العصر الاموي ، واندفعت بقوة في العصر العباسي بدافع عنصري وهي تمثل جانب من محاولة شعوب غير عربية

---

(١) اليوزبكي : الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ط ١ ص ١١٣

(٢) الدوري : المجتمع العربي ص ١٢ .

(٣) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٣٢٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

(٤) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٦٤

لضرب السلطان العربي عن طريق الفكرة والعقيدة الذي انكشف في الصراع السياسي والديني والثقافي الواسع (١).

لقد كانت كراهية الفرس للأمويين ترجع إلى نقمتهم على العرب الذين قضوا على الدولة الفارسية والدين المجوسي، وان في اقوال الوالي الاموي في خراسان نصر بن سيار الذي يخاطب بها القبائل العربية يمانية او نزارية ويحذرهم من الفرس خير ما يؤيد رأينا حيث يقول :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم   فليغضبوا قبل الا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا   حربا يحرث في حافاتها الحطب

إلى ان يقول :

قوم يدينون دينا ما سمعت به   عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن اصل دينهم   فان دينهم ان تقتل العرب(٢)

ولم يدع الشعوبيون من الفرس فرصة الا انتهزوها فساهموا بكل ثورة مسلحة او حركة سياسية للقضاء على الحكم العربي الاموي لان الامويين حافظوا على العنصر العربي بتقريبه والاعتماد عليه وتقويته وعلى الدين الاسلامي بتوسيع الفتوحات في الجهات الشرقية خاصة.

كانت العصبية الفارسية كامنة والجذور المجوسية عند من أسلم من الفرس لا تزال قوية في نفوسهم وهم لا يزالون يحنون إلى اعادة مجد امبراطوريتهم الذي تحطم تحت اقدام العرب المسلمين، وما حركات الموالي ومساندتهم للثورات المختلفة الا مظهرا من مظاهر ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي، فقد ساندوا أول الامر اية حركة يمكن الاعتماد عليها في نشر مبادئهم وتعاليمهم، فقد انضموا إلى جانب الخوارج منذ عهد علي بن ابي طالب بدليل ان في صفوفهم في موقعة النهروان عددا كبيرا منهم (٣). ثم اخذوا

---

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٩ .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٨
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٣ ص ١٥٩

يدعمون الثورات التي قامت في وجه الامويين عندما بعثوا إلى عبد الله بن الزبير يطلبون الدخول في دعوته (١) معتقدين أن دخولهم معه سيعطيهم بعض الحقوق والمكاسب التي لم يحصلوا عليها في ظل الحكم الاموي.

ولما ظهر المختار بن عبيدة الثقفي احتضنه الفرس وقد اشترك في ثورته نحو من ثلاثين الف منهم (٢). ثم انظموا إلى ثورة عبد الرحمن بن الاشعث الذي لقب نفسه بـ (ناصر المؤمنين) (٣).

ودعم الفرس ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي ثار على الخليفة الاموي يزيد بن عبدالله(٤). وانضووا تحت لواء زيد بن علي (٥) وثورة الحارث بن سريج في خراسان ١١٦هـ في ولاية نصر بن سيار (٦) ولما خرج وكيع بن أبي أسود سنة ٩٠ هـ بخراسان على قتيبة بن مسلم الباهلي مالت الاعاجم إلى عسكره فاهاجوا الناس وكان نتيجتها ان قتل القائد العربي واخوه واولاده واهله (٧).

وقد سعى الفرس إلى ايجاد نوع من التكتل الفارسي ضد العرب واثاروا النزعات العنصرية الفارسية تحت ستار اسلامي فنادوا بمبدأ المساواة السياسية والقومية واستطاعوا تثبيتها في نفوس الفرس الذين دخلوا الاسلام أو الذين بقوا على دينهم المجوسي (٨).

ولما ظهرت الدعوة العباسية انخرطوا فيها لانها كانت تدعوا إلى المساواة، وتظاهرت بالتسوية، ولما قامت الدولة العباسية لم يجد العباسيون بدا من اشراك الفرس في السلطة اعترافاً بفضل الفرس عليهم، وكان له أثره الكبير في فسح

---

(١) المصدر السابق : جـ٣ ص ٣٣٨ .

(٢) الطبري : جـ٧ ص ١٥٩ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٢٩ .

(٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ٢٧٢ ، اليعقوبي : جـ٣ ص ٢٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب جـ٤ ص ١٣٤ .

(٥) المصدر السابق : جـ٣ ص ١٤٠ .

(٦) الطبري : جـ٩ ص ٦٧ .

(٧) الطبري : حوادث سنة ٩٠ — ٩٦هـ ، مؤلف مجموعة الحدائق والعيون جـ٣ ص ١٥ .

(٨) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٨٦ .

المجال لهم بابعاد العرب عن المراكز السياسية والعسكرية والادارية البارزة واحلالهم محل العرب ، ويبدو أن هذا الاتجاه كان نتيجة ميل معظم الوزراء العباسيون إلى اعادة السلطان الفارسي (١). ولم يكتف الفرس بما احرزوه من مكانة كبيرة في الدولة العباسية بل كشفوا عن شعوبيتهم ،وراحوا يهاجمون العرب ويركزون على تشويه تاريخهم وأدبهم ويتهمونهم بالبربرية قبل الاسلام. وبالبداوة بعده ، ويفضلون الشعوب الاخرى عليهم، ويمجدون ثقافتهم على حساب الثقافة العربية الاسلامية (٢) .

وقد نشطت الحركة الشعوبية في العراق في العصر العباسي باعتباره مقر الخلافة العباسية ، ولقربه من بلاد فارس مصدر دعاة الشعوبية والزندقة،وقد اتخذت الحركة الشعوبية اتجاهات متعددة منها سياسية بالدعوة إلى إزالة السلطان العربي ، واحياء المجد الفارسي عن طريق اضعاف الدولة العباسية بمساندةوتشجيع الحركات الثورية ضد الدولة العباسية.

ومن هذه الحركات السلمية والراوندية والمقنعية وحركة بابك الخرمي وحركتي الافشين والمازيار (٣) وساندوا الثورات العلوية واحتووها وقد عمل البرامكة على مساندة الحركات العلوية بسرية تامة ضد الخلافة العباسية لا حبا بالعلويين ولكن لتحقيق طموحاتهم العنصرية.

فقد عزم ابو مسلم الخراساني على اعلان العصيان في خراسان والانفصال عن الدولة العباسية بمساندة الفرس ويزيد هذا عندما عزم المنصور على تعيين أبي مسلم واليا على الشام بدلا من خراسان فكان جوابه : يولني الشام وخراسان لي (٤) .

---

(١) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص ٣١ .

(٢) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٦٤ .

(٣) اليوزبكي : الوزارة ص ٣١ .

(٤) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة ص ٢٨٩ .

وقام سنباذ المجوسي (١) مطالبا بثأر ابي مسلم واعلن انه سيذهب لهدم الكعبة ولم تكن دعوته سوى القضاء على السلطان العربي واعادة الدين المجوسي. ويوضح براون (٢) علاقة سنباذ بابي مسلم فيقول (ان سنباذ هذا كان مجوسيا ينتمي إلى طائفة المسلمية التي تسوق الامامة إلى ابي مسلم ومثلها الخرمية واتباع اسحق الترك) .

ودعت الشعوبية إلى المجوسية ومحاربة الاسلام الذي هو دين العرب فأعلن اسحق الترك (انه نبي انفذه زرادشت) وانه يخرج حتى يقيم الدين لهم (٣). وشرع المقنع لاتباعه جميع ما اتى به مزدك (٤). ويرى المقريزى: (ان حركة بابك والثورات الدينية الايرانية كانت مدفوعة بالحقد على الاسلام وانها ترمي إلى كيد الاسلام بالمحاربة (٥) ويقول المسعودي (ان المازبار اقر على الافشين انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا قد اجمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الوثنية والمجوس) (٦). وجاء في رسالة من اخي بابك الخرمي إلى اخي المازباربيان كيفية القضاء على العرب حتى يعود الدين إلى ما كان عليه ايام العجم) (٧) .

وعمل البرامكة على مساندة الحركات الثورية بسرية تامة ضد الخلافة العباسية فيقول الجهشيارى (ت ٣٣١هـ/٩٤٢ م) ان الرشيد اتهم يحيى البرمكي بميله إلى يحيى العلوي، وأنه امده بمئتي الف دينار ابان ثورته في بلاد الديلم، وفعل يحيى البرمكي مثل ذلك مع احمد بن عيسى بن زيد العلوي، فارسل له سبعين الف دينار في البصرة ليقوم بنفس الدور الذي

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ١٠٦ ، الدوري : العصر العباسي الاول ص ٨٦ .

(٢) Browen, History of Persia, Literature.p. 317.

(٣) ابن النديم : الفهرس ص ٤٨٣ .

(٤) البيروني : الاثار الباقية ص ٢١١ .

(٥) المقريزي : الخطط ص ١٩٠ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص ١ .

(٧) الطبري : تاريخ ج١٠ ص ٣٦٧ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٣٠٦ .

قام به يحيى العلوي (١) وقد اعترف يحيى البرمكي للرشيد بانه فعل ذلك لكي يقوى أمر العلوي فيذهب اليه احد اولاده فيطفيء فتنته فتعظم مكانته عند الخليفة فقال له الرشيد وما يؤمنك ان تقوى شركته فيقتل ابنك الفضل ويقتلني (٢). وقد عبر الرشيد عن مخاوفه من البرامكة بقوله : (اني خائف ان تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الامر من يدي) (٣).

ويروى الاصفهاني ان البرامكة ارادوا الايقاع بين العباسين وبين بني عمومتهم العلويين فيقول : (ان السبب في أخذ موسى بن جعفر العلوي وحبسه ان الرشيد جعل ابنه محمد الامين في حضن جعفر بن محمد بن الاشعث فحسده يحيى البرمكي وقال : ان افضت الخلافة اليه زالت دولتي ودولة ولدي. فأحتال على جعفر بن محمد بن الاشعث وكان يقول بالامامة حتى داخله وانس به وامر اليه فرفعه إلى الرشيد، وقال : ان الاموال تحمل اليه من الشرق والغرب، وان له بيوت تحمل اليه فسمع منه الرشيد ذلك فحبسه حتى مات سنة ١٨٣م) (٤).

والواقع ان البرامكة كانوا يعدون العدة للانقضاض على الدولة العباسية فقد أعدوا الجيوش الكبيرة من العناصر الفارسية في خراسان وغيرها، وكونوا فرقا كبيرة سموها (العباسية) والتي عرفت عند البغداديين باسم (الكرمينيه) وعدتها خمسمائة الف فارس وليس فيها عربي واحد وكان قوادها من العجم وكانت تجري عليهم ارزاق دائمة من بيت مال المسلمين ودون علم الخليفة، وجعل ولائهم جميعاً لال برمك دون سواهم (٥). وقد ابقى البرامكة قسم من هذه الفرقة العسكرية في قلب بغداد وهيأوا لها مربضا واسعا بجانبهم في معسكر الرصافة وانزلوها فيه (٦).

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ .

(٢) المصدر السابق : والصحيفة.

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ٧١ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ص ٥٠١ .

(٥) الطبرى : جـ١٠ ص ٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهائية في التاريخ جـ ١ ص ١٧٢ .

(٦) المصدر السابق والصحيفة .

ويعلق بعض المؤرخين على ذلك فيقول : والذي يمعن النظر في هذه الخطة المدبرة يجد ان انقلابا عسكريا مسلحا وضع مصير الرشيد والخلافة العباسية في قبضة الفرس البرامكة اذ لم يبق بين سيادة العنصر العربي وبين خضوعه لحكم الفرس الا غضبة برمكية فيعتقل الجيش شخص الرشيد ثم يزحف جيش (العباسية) من خراسان لضم باقي أقاليم الدولة اليه، هذا اذا اراد آل برمك اعادتها فارسية محضة، وما ذلك على طموح جعفر بن يحيى البرمكي ببعيد (١).

وقد اقتفى آثار سياسة البرامكة الفضل بن سهل وزير المأمون في تكتيل العناصر الفارسية وابعاد العرب عن المناصب الخطيرة في الدولة تمهيدا لتحويلها فارسية مجوسية، فقد شجع الفضل بن سهل المأمون على الاقامة في خراسان والتمسك بحقوقه بالخلافة تجاه اخيه الامين وبين له قوة مركزه فقال له : (وكيف بك وانت نازل بين اخوالك وبيعتك في أعناقهم واجبة... اصبر وانا اضمن لك الخلافة) (٢) فكانت أم المأمون ام ولد فارسية فالتف الفرس حوله وقالوا له : (ابن اختنا وابن عم رسول الله) (٣) وزوجوا المأمون من (بوران) ابنة الحسن بن سهل لتحقيق آمالهم بالسيادة لانهم كما يقول الفضل بن سهل جمعوا بين اشرف دم عربي وهو دم النبوة واشرف دم فارسي وهو دم الاكاسرة (٤).

وعمل على ان تكون السيادة للعنصر الفارسي فحاول الفضل بن سهل التخلص من القواد العرب الذين ناصروا المأمون في محنته مع اخية الامين(٥) فدبر مؤامرة للتخلص من القائد العربي هرثمة بن اعين، ومقتل هرثمة دليل واضح على السياسة العنصرية الفارسية التي سار عليها الفضل بن سهل

(١) الجومرد : هارون الرشيد جـ٢ ص ٤٧٥
(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٧٨
(٣) الطبري جـ١٠ ص ١٢٩ ، الجهشياري : ص ٢٧٩
(٤) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة ص ٢٩١
(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ٢ ص ١١٢ .

وعلى قوة الحركة الشعوبية ومحاولتها القضاء على رجالات العرب وابعادهم عن مراكز القيادة والسياسة والادارة لكي تتمكن الشعوبية ان تعبث بسلامة ومكانة الدولة العباسية (١). وسعى الفضل بن سهل في تحقيق خططه العنصرية الخطرة فحسن للمأمون تولية علي الرضا عهده لتحويل الخلافة اسميا إلى آل علي والتحايل عليهم فيما بعد وجعلها فارسية فيقول الجهشيارى (كان المأمون قد جد في تولية العهد لعلي الرضا وتقدم إلى الفضل بأخذ البيعه له على الناس، والكتابة إلى الاقاليم في ابطال السواد (شعار العباسيين) وكتب الفضل إلى اخيه الحسن يعلمه بذلك ويأمره بطرح السواد ولبس الخضرة ويجعل الاعلام والقلانس خضرا ويطالب الناس بذلك وكاتب فيه جميع عماله) (٢). وقد تجرأ بعض الشخصيات العربية كنعيم بن خازم أن يكشف سياسة الفضل بن سهل التي ترمي من ورائها تحويل الخلافة إلى الفرس بقوله له : (انك انما تريد ان تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا، ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من البياض إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس) (٣) .

لقد ادرك المأمون حقيقة الامر وخطورة السياسة الفارسية التي انتهجها وزيره الفضل بن سهل فقرر مغادرة خراسان والعودة إلى بغداد (٤). وان هذا الاتجاه لم يكن مجرد تبديل العاصمة بل كان انقلابا سياسيا على السياسة التي تمثلها العاصمة الاولى (مرو) فبدأ الصدام الحقيقي ولزوم التخلص من وزيره الفضل بن سهل ومن ولي العهد ايضا (٥) وتم ذلك في طريق عودته إلى بغداد.

---

(١) اليوزبكي : الوزارة السياسية ص ١١٨ .
(٢) الجهشيارى : ص٣١٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ١١ ، اليعقوبي : تاريخ جـ٣ ص ١٧٩.
(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ٦ ص ١١ .
(٤) اليوزبكي : الوزارة ص ١١٩ .
(٥) الدوري : العصر العباسي الاول ص ٢١٤ .

ويبدو ان الشعوبيين الفرس شعروا بخيبة الامل في تحقيق النصر بعد انوجدوا ان الحركات السياسية والعسكرية المسلحة لم تجد نفعا فالتجأت إلى هدم المجتمع العربي بتحطيم السياج الديني والقيم والفضائل العربية بنشر تعاليم فاسدة واباحت المحرمات للعبث بالاداب العامة ونشر الشكوك حول الاسلام ومهاجمة التقاليد العربية السامية واحياء عقائد المجوسية. وبذلك يكونوا قد تجنبوا الاخطاء التي واجهت الحركات السياسية الفارسية التي فشلت في تحقيق اهدافها العنصرية. فاتجهت الشعوبية في تحقيق اهدافها بالهجوم على الاسلام والحط من القرآن الكريم فالاعاجم الذين يصعب على اكثرهم ان يتفهموا القرآن ويتدبروه فقالوا : انه غير منظم ولا مبوب، وانه محتذى ومنقول، وانه زيف مدخول، وانه غير بليغ، ولا فصيح، وبلغت القحة ببعضهم انقالوا : ان فيه اغلاطا نحوية، وركاكات بيانية (١). هذا القرآن ابلغ كتب العرب ، ولولاه لما كان لهم شريعة ، ولا عقيدة، ولا نظام (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) عجز فصحاء العرب عن الاتيان بمثله او بأية من مثله .

كما حاولت الشعوبية تزييف الاحاديث النبوية ، فقد وضعوا أحاديث كثيرة في فضل الفرس ، واسندوها الى الثقات من الصحابة والتابعين ، فمثلا في حديث نسب للرسول (لاتسبوا فارسيا فما سبه احد الا أنتقم منه عاجلا او آجلا وزعموا انالرسول قال (لو كان العلممعلقا عندالثريا لتناولهرجل من فارس)(٢) وحاولوا ايضا تشويه الفقه الاسلامي عن طريق دس الاحكام الزائفة او التي تثير القلق، وتفسدالاحكام الدينية، مستهدفين التفرقة بين احكام المسلمين(٣) واظهار احكامهم بالتناقض والهزال لايقبلها الدين ولا العقل والمنطق السليم

واسفرت الدعوة الشعوبية عن وجهها القبيح بالدعوة إلى تمجيد الفرس وكل ماهو فارسي ، وإلى تحقير العرب ، وكل ماهو عربي ، فاخذوا بمهاجمة

(١)- انظر : كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ص ٦٩ .

(٢) الليثي : الزندقة والشعوبية ص ١٨١

(٣) المصدر السابق ص ١٨٢

الفضائل العربية وعملوا على تفسيخ القيم الخلقية العربية الاسلامية ، فدعوا إلى المجون والشراب وجاهروا بالخلاعة ، والانحراف الجنسي ، واعتبروا ذلك نوعا من التحرر ومثلا في الظرف (١). وقد اشار صاحب الاغاني إلى قصص غريبة عن تحللهم الخلقي والاجتماعي والديني ، وعن دورهم في افساد المجتمع والدين والاخلاق (٢) فقد كان منهم عبد الكريم بن ابي العرجاء يفسد الاحداث ويستنزله ويدخله في دينه (٣) ويقول عنه البغدادى (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧) انه كان مانويا يؤمن بالتناسخ،ويتخذ من شرح سيرة ماني وسيلة للدعوة في تشكيك الناس في عقائدهم)(٤) .

وممن دعا من عتاة الشعوبية إلى نشر الخلاعة والمجون لافساد المجتمع العربي عن طريق افساد الشباب بالدعوة إلى التغزل في النساء والمذكر والخمرة الشاعر ابو نؤاس فقد حث الناس على شربها ، ودعا إلى الاباحية وإلى السخرية من الدين (٥) فقال في الدعوة إلى شرب الخمر :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولاتسقني سرا إذا امكن الجهر

وقال ايضا :

فان قالوا حرام قل حرام ولكن اللذاذة في الحرام

وقال في التهتك والالحاد :

يا ناظرى في الدين ماالامر لاقدر صح ولا جبر
ماصح عندى من جميع الذي تذكر الا الموت والقبر

---

(١) اليوزبكي : الوزارة العباسية ص ١١٤

(٢) الاصفهاني : الاغاني جـ٣ ص ١٨٢ – ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ ، جـ٢ ص ٧٦ ص ٥٩ ص ٩٦ ، ص ١٠٠٠ – ١٠٥

(٣) الاصفهاني : الاغاني جـ٣ ص ١٤٧ .

(٤) الليثي : الزندقة والشعوبية ص ١٨٦

وكانت لهذه الدعوات الشعوبية الى اثارها ابو نؤاس وغيره من الشعراء الفرس منهم بشار بن برد وحماد عجرد وحماد الراوية وغيرهم لها اثرها في انتشار اندية اللهو والمجون والخلاعة في الكوفة والبصرة وبغداد يسخرون فيها من الديانات والاخلاق والتقاليد الاجتماعية التي تحظر عليهم لهوهم(١).

وراح الشعوبيون يؤلفون الكتب والرسائل ويصنفون المسامرات والخطب ينتقصون فيها من قدر العرب، وحضارتهم، وتاريخهم، فراجت عندهم اسواق الهجاء والمديح، ورد العرب على العجم برفق لئلا ينفروهم، وكانوا يرمون إلى تأليف القلوب لا إلى تمزيقها شأنهم شأن الامم العاقلة التي ترمي ابداً إلى تكثير سوادها، وجمع القلوب على حبها، فتتحاش العبث بمقدسات الناس، وتحفظ لهم حرمتهم وكرامتهم (٢). ولم يكتف الشعوبيون بهذا، وانما نظروا إلى ماضي الامم، ومقارنتها بما في الامة العربية قبل الاسلام فقالوا : لكل امة في ماضيها ميزة، فالرومان تفخر باتساع سلطانها، وكثرة مدنها، وعظمة مدنيتها، والهند تفخر بحكمتها وطبها.. والصين تزهوا بصناعتها وفنونها الجميلة على حين لا يوجد للعرب قبل الاسلام شيء تمتاز به (٣)، متجاهلين ما للعرب من ادب رفيع، وعلم عزير، وحكم بليغة، ومثل عليا، وخلال حميدة سامية، وشجاعة نادرة، وكرم ضيافة ومروءة .

وبذل الكتاب من الشعوبيين كل سبيل لتقليل شأن الثقافة العربية الاسلامية ، وبعث الثقافة الفارسية، واتخذوا في ذلك سبلا متعددة ،منها نشاط حركة الترجمة عن الفارسية، في موضوعات الادب والتاريخ والدين والنظم والعادات والتقاليد فترجموا كتاب (خداينامه) و(سير ملوك الفرس) وكتاب (آيين نامه) و(المراسيم والتقاليد الساسانية) وترجموا كتاب (مزدك) ويتضمن

---

(١) الاصفهاني : الاغاني جـ٥ ، ص ١٦٦

(٢) كرد علي : الاسلام والحضارة العربية جـ١ ، ص ٤٥ .

(٣) العلوى : المجتمع العربي ص ١٤

عقائد المجوسية واخلاقيتهم التي لا تتفق والمفاهيم الاسلامية ترجمه ابن المقفع كما ترجم كتاب (التاج) في سيرة انوشروان، وكتاب (كليلة ودمنة) واضاف اليه بابا للترويج للمانوية (١) وترجم غيره عدد من كتب الفرس المجوس منهم : محمد بن الجهم البرمكي ، حيث ترجم كتاب (سيرة ملوك الفرس) وترجم زادريه بن شاهدربه الاصفهاني كتاب (تاريخ ملوك الفرس) وترجم محمد بن بهرام بن مطيار الاصبهاني كتاب (ملوك الفرس) وترجم بهرام بن مرد انشاه موبذ كورة (شابو) كتاب (تاريخ ملوك بني ساسان) (٢) ومن الكتب المترجمة ايضا كتب سير الفرس المعروف بـ (إختيار نامة) نقله اسحق بن يزيد (٣) كما ترجمت كثير من الكتب الدينية المانويه وغيرها إلى العربية والتي اشار اليها ابن النديم والمسعودي (٤) .

وألف دعاة الشعوبية الكتب الكثيرة في مناقب العجم ، وبرزوا مثالب العرب ومن هذه الكتب (انتصاف العجم من العرب) وكتاب (فضل العجم على العرب و افتخارها) (٥) .

ومن الكتب التي وضعت لاظهار مثالب العرب كتاب (المثالب الكبير) وكتاب (مثالب ربيعه) وكتاب (أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدت) وكان من ابرز هؤلاء الكتاب سهل بن هرون صاحب بيت الحكمة في عهد المأمون والذي الف رسالة في البخل اعتبر فيها الكرم رذيلة والبخل فضيلة (٦). وقد هاجموا بهذه الكتب القيم العربية ، والمثل العليا كالكرم، والوفاء ، والمروءة والفروسية ، وحاولوا بذلك أن يحولوا المأثرة الى منقصة ، وأن يجعلوا الكرم والبذل مذمة (٧) .

---

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ١٦ .

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام جـ١ ، ص ١٧٧ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٢ ، ص ٢٣٢ ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن النديم : ص ١٧٣ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ، ص ٣٩٢ طبع باريس .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٣ .

(٦) ابن النديم : ص ١٩٤ ، ياقوت : معجم الادباء جـ١٢ ص ٢٢٦ .

(٧) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ١١١

ولم يكتف الكتاب منهم بالترجمة بل انهم وضعوا أشياء كثيرة نسبوها الى الفرس القدماء ليضفوا عليهم صفة الأمجاد مما يساعد على احياء الوعي العنصري الفارسي وليقللوا من شأن الحضارة العربية الإسلامية (١).

وحاول الفرس أن يحيوا التقاليد الفارسية في الادارة والسياسة كما فعل الفضل بن سهل وزير المأمون (حيث كان يجلس على كرسي مجنح ، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون ، فإذا وقعت عين المأمون عليه وضع الكرسي ونزل عنه فمشى وحمل الكرسي حيث يوضع بين يدي المأمون ثم يسلم ذو الرياستين ويعود يقعد عليه ، وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة ولعل الجناحين يمثلان أجنحة اهورا مزدا اله الخير عند الزرادشتية(٢).

وقد سعى الكتاب الفرس من الشعوبيين الى الترويج لدراسة الثقافة الفارسية وقد أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ ﻫ / ٨٦٨م) الى سبلهم في ذلك بقوله : (والناشيء منهم إذا وطيء مقعداً لرئاسة روى لبزرجمهر أمثاله ، ولاردشير عهده ، ولعبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع أدبه ، وصير كتاب مزدك معدن علمه ، ودفتر كليله ودمنة كنز حكمته ، ثم يكون أول بدءه الطعن على القرآن في تأليفه والقضاء عليه بتناقضه ..) (٣) وهاجمت الشعوبية اللغة العربية والتاريخ العربي ، لانهم يدركون أنها أساس الثقافة العربية ، وانها ليست فقط لغة العلم والأدب والثقافة وإنما هي لغة الدين والسياسة ، واتهمتها بالعجز في المفردات والألفاظ والتعابير والمعاني . واستمرت الحركة الشعوبية في العراق تقوى وتضعف فهي كالنار التي تحت الرماد تظهر متى هبت عليها الأعاصير ، أو متى وجدت لها متنفساً ، بأبشع صورة وأخطر أسلوب .

ومن خلال ماذكرنا من الأحداث التاريخية التي وقعت بين العرب والفرس نجد ان المشكلة أخطر من أن تكون (مشكلة سياسية) فهي مسألة عنصرية

(١) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .

(٣) الجاحظ : ثلاث رسائل ص ٤٢ .

حمل لواءها العنصريون الفرس طوال قرون عديدة وحتى الآن وعلى امتداد تاريخهم .

يكتمونه مرة ويعلنونه أخرى تبعاً للظروف السياسية والأوضاع الداخليه المحيطة بالعراق . وما السلوك العنصري السافر لحكام ايران تجاه العراق وشعبه والامة العربية الآن الا حلقة من هذه الحلقات الكثيرة السابقة المعبرة عن حقدهم الدفين وشعوبيتهم المقيتة ، فليس غريباً أن يرفع الآن أحفاد الخراساني والبرامكة وآل سهل وآل بويه سلاح الحقد ثانية في وجه العرب والإسلام ، في وقت بدأ العرب بنهضتهم المعاصرة لاعادة مجد آبائهم ونشرحضارتهم ومبادئهم الانسانية مستلهمين هذه النهضة من مبادىء رسالة الإسلام وقيم العروبة متمثلة بالمواقف الإخلاقية النبيلة التي عرف بها العرب على امتداد تاريخهم الناصع الذي تشهد له كل الشعوب .

الدكتورتوفيق سلطان اليوزبكي

بغداد - العراق 1981

المصادر والمراجع

ابن الأثير : أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

١ . الكامل في التاريخ

المطبعة الخيرية — مصر ١٣٤٩ هـ.

ابن النديم : ابن النديم (ت ٣٨٣ هـ أو ٣٨٥ هـ / ٩٩٣ أو ٩٦٥ م)

٢ . الفهرست

سلسلة روائع التراث العربي (نشر مكتبة خياط بيروت) .

ابن الأثير : أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن محمد الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

٣ . البداية والنهاية في التاريخ

طبع مكتبة المعارف ، بيروت ومكتبة الشعر ، الرياض ١٩٦٦ .

البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)

٤ . الفرق بين الفرق

طبع مؤسسة نشر الثقافة الإسلامية ، مصر ١٩٤٨

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي
٥ . الآثار الباقية عن القرون الخالية
مطبعة لايبزك ١٩٢٣ م

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري
(ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)
٦ . ثلاث رسائل وتسمى (رسائل الجاحظ)
باعتناء تنكل ١٣٢٤ هـ طبع القاهرة

٧ . البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة المثنى بغداد
والخانجي مصر ١٩٦٠ م

الجهشياري : محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)
٨ . الوزراء والكتاب
مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨ م

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داؤد
٩ . الأخبار الطوال
مطبعة بريل — ليدن ١٨٨٨ م باعتناء جرجاس

الاصفهاني : الامام أبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦م)
١٠. مقاتل الطالبيين
١١. الاغانـي
تصحيح أحمد الشنقيطي / مطبعة التقدم مصر

الطبـري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
١٢. تاريخ الرسل والملوك
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ — ١٩٦٣ م

طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ – ١٩٦٣ م
المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)
١٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر
مطبعة دار الرجاء / القاهرة
١٤. التنبيه والاشراف
ليدن – مطبعة بريل ١٩٦٧ م
المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
١٥. (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)
طبع بولاق – القاهرة ١٢٧٠ هـ
مجهـول : مؤلـف مجهول
١٦. العيون والحدائق في أخبار الحقائق
طبع مكتبة المثنى / بغداد
اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح الأخياري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
١٧. تاريخ اليعقوبي
مطبعة الغرى ، النجف – العراق
أمين : أحمد
١٨. ضحى الإسلام
ط ١٠ نشر دار الكتاب العربي – بيروت
الجومرد : عبد الجبار
١٩. هارون الرشيد
مطبعة دار الكتاب – بيروت ١٩٥٦ م
حسـن : حسن ابراهيم
٢٠. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والأجتماعي
مطبعة مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٥٣ م
الـدوري : عبد العزيز
٢١. العصر العباسي الأول
مطبة النقيض الأهلة – بغداد ١٩٤٢
٢٢. مقدمة في التاريخ لأقتصادي العربي
دار الطليعة – بيروت ١٩٦٩
٢٣. الجذور التاريخية للشعوبية
دار الطليعة – بيروت ١٩٦٩م

العـــدوى : ابراهيم أحمد
٢٤. المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية
طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١ م

كـرد علي : محمـــد
٢٥. الاسلام والحضارة العربية
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٢ ١٩٥٠ م

الايثي : سميرة مختار
٢٦. الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها
طبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ م

اليوزبكي : توفيق سلطان
٢٧. الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية
ط ١ مطبعة الارشاد / بغداد ١٩٧٠
ط ٢ مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٦
٢٨. تاريخ أهل الذمة في العراق
اطروحة دكتوراه غير منشورة .

